



## البيئة الفكرية والاجتماعية في الكوفة بين (41-61هـ)، وتأثيرها في مواقف أهلها من واقعة عاشوراء

م. عمار ياسر عبد ناصر العامري

المديرة العامة لتربية المثلى/ العراق

[ammaralamiree@gmail.com](mailto:ammaralamiree@gmail.com)

### الملخص:

تعد واقعة عاشوراء سنة 61هـ من أهم المحطات التاريخية في الإسلام، لما لها من أبعاد دينية وفكرية وسياسية واجتماعية، وقد تركت أثراً عميقاً على الوعي الجمعي للأمة، وللفهم الكامل لمواقف أهل الكوفة من نهضة الإمام الحسين (عليه السلام)، لابد من دراسة خلفية المدينة الفكرية والسياسية والاجتماعية قبل الواقعة، عقب استشهاد الإمام علي (عليه السلام) وحتى 61هـ، وتحليل التحولات التي طرأت على البنية الفكرية والاجتماعية والسياسية للمدينة، أظهرت النتائج إن الكوفة لم تكن مدينة ذات ولاء موحد، إنما كانت ميداناً لتعدد التيارات الفكرية (الشيعة، الخوارج، المرجئة، القدرية)، وتنافساً قديماً، وتذبذباً في الولاءات السياسية، ما أوجد بيئة هشّة وقابلة للاستغلال من قبل السلطة الأموية عبر القمع، والتهديد، والإعلام السلبي، والابتزاز الاقتصادي، كما بينت إن خذلان الإمام الحسين (عليه السلام) لم يكن خيانة مفاجئة، إنما نتاج تراكمات بنيوية في الفكر والمجتمع والنفسية الجماعية، ما جعل الكوفة عقائدياً خصبة للنهضة، لكنها عاجزة عملياً عن حملها؛ بسبب تفكك القرار الجماعي، وضعف البنية النفسية.

الكلمات المفتاحية: الإمام الحسين، عاشوراء، كربلاء، الكوفة، السلطة الأموية.

## The Intellectual and Social Environment in Kufa between 41 and 61 AH, and its Impact on the People's Stance on the Event of Ashura

M. Ammar Yasser Abdel Nasser Al-Amiri

[ammaralamiree@gmail.com](mailto:ammaralamiree@gmail.com)

### Abstract:

The events of Ashura in 61 AH are among the most significant historical events in Islam, due to their religious, intellectual, political, and social dimensions. They left a profound impact on the collective consciousness of the Muslim community. To fully understand the people of Kufa's stance on the uprising of Imam Hussein (peace be upon him), it is essential to examine the city's intellectual, social, and political background prior to the event. This study sheds light on the period from 41 AH, following the martyrdom of Imam Ali (peace be upon him), until 61 AH, analyzing the transformations that occurred in the city's intellectual, social, and political structure. The findings reveal that Kufa was not a city of unified loyalty, but rather an arena for diverse intellectual currents (Shi'a, Kharijites, Murji'ites, and Qadarites), tribal rivalries, and fluctuating political allegiances. This created a fragile environment susceptible to exploitation by the Umayyad authorities through repression, intimidation, propaganda, and blackmail. The economic



aspect. It also showed that the abandonment of Imam Hussein was not a sudden betrayal, but rather the result of structural accumulations in thought, society, and the collective psyche, which made Kufa ideologically fertile ground for a revival, but practically incapable of sustaining it due to the disintegration of collective decision-making and the weakness of the psychological structure.

**Keywords: Imam Hussein, Ashura, Karbala, Kufa, Umayyad Authority**

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم .. وصلى الله تعالى على محمد وال محمد الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً.

تعد واقعة عاشوراء سنة (61هـ) إحدى أهم المحطات المفصلية في التاريخ الإسلامي، لما لها من أبعاد دينية وفكرية وسياسية واجتماعية، تركت أثراً عميقاً على الوعي الجمعي للأمة، ومع إن معظم الدراسات التاريخية قد أولت أهمياً واسعاً لوقائع الطف ومجريات المعركة وسير أبطالها، إلا إن الخلفية البيئية والفكرية والاجتماعية لمدينة الكوفة، تلك البلدة التي شكلت مسرحاً محورياً قبيل الواقعة، لا تزال بحاجة إلى دراسة معمقة ومتناسكة، تكشف عن جذور المواقف المتقلبة لأهلها تجاه الإمام الحسين بن علي (عليه السلام).

تأتي هذه الدراسة لتسلط الضوء على الفترة الممتدة من سنة (41هـ) عقب استشهاد الإمام علي (عليه السلام) حتى (61هـ) السنة التي استشهد فيها الإمام الحسين (عليه السلام) في واقعة كربلاء، في محاولة لتحليل التحولات التي طرأت على البنية الفكرية والاجتماعية والسياسية للمجتمع الكوفي، والتي ألفت بظلالها على الموقف النهائي لأهلها من النهضة الحسينية.

لقد شهدت الكوفة خلال هذه الحقبة موجات من التذبذب العقائدي، وتعدداً في المرجعيات الفكرية، وتنافساً قبلياً، وتبدلاً في الولاءات السياسية، مما ساهم في تشكيل بيئة هشة من الناحية القيمية، وقابلة للانجرار خلف الضغوط السلطوية، والخطابات الدعائية، بخاصة تلك التي مارسها النظام الأموي عبر ولاته المتعاقبين.

إن هذا الدراسة لا تسعى لتفسير موقف أهل الكوفة فقط، من خلال الأحداث المتسلسلة فحسب، إنما تهدف إلى تفكيك البنية العميقة للبيئة الكوفية، وتحليل العوامل التي صنعت قرار التخاذل، أو الانقلاب أو التردد أو حتى التواطؤ، كما تحاول الوقوف على مفردات الحياة اليومية، والواقع السياسي، وبنية النخب الدينية والقبلية، وتأثيرها في صناعة الرأي العام آنذاك.

ومن هنا تتبع أهمية الدراسة في كونها تقدم قراءة متعددة الأبعاد، تعتمد على مناهج تحليلية وتاريخية واجتماعية، لا لفهم الماضي فحسب، إنما لتفسير، كيف يتكون السلوك الجمعي في لحظات التحول التاريخي الحاسمة؟ وتعتمد الدراسة في ذلك على منهج التاريخي التحليلي، بالاستناد إلى المصادر التراثية والدراسات الحديثة، سعياً لتقديم قراءة علمية متوازنة لهذه المرحلة المفصلية من تاريخ واقعة عاشوراء.



## المطلب الأول: الاتجاهات الفكرية والتيارات الدينية في الكوفة

شهد المجتمع الكوفي في المدة ما بين صلح الإمام الحسن (عليه السلام) وواقعة عاشوراء (41-61هـ)، تنوعاً فكرياً ودينيّاً غير مسبوق<sup>(1)</sup>، نتج عن تقاطع عوامل عدة: طبيعة تأسيس الكوفة كمركز للجند، والهجرات القبلية المتعددة، وتلاقح الثقافات المختلفة، فضلاً عن الاضطرابات السياسية المتكررة، هذا التنوع أصبح بيئة خصبة لظهور تيارات متناقضة، شكلت نسيجاً فكرياً واجتماعياً مهزوزاً، أثر لاحقاً في مواقف الكوفيين من نهضة الحسينية في عاشوراء.

### أولاً: التيارات الكلامية والفكرية الفاعلة

الشيعة (الإمامية): هم الذين شايعوا علياً (عليه السلام)، الذي قالوا بإمامته وخلافته<sup>(2)</sup>، وعرفوا بانقطاعهم إليه<sup>(3)</sup>، بوصية من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أو بإرادة من الله تعالى نصاً<sup>(4)</sup>، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وأن خرجت فبالظلم<sup>(5)</sup>، وغلب هذا الاسم حتى إذا قيل فلان "شيعي" عرف أنه منهم<sup>(6)</sup>، وأطلق أيضاً اسم "شيعة علي" على الناس الذين وقفوا معه في نزاعه ضد معاوية والسوريين<sup>(7)</sup>، إذ تشكل في الكوفة تيار شيعي يرى: إن الإمامة تمثل امتداداً طبيعياً للنبوّة، ويعتقد هؤلاء بـ"ضرورة نصره آل محمد"<sup>(8)</sup>، ويتزعمه كبار أنصار أهل البيت، أمثال: حجر بن عدي، ورشيد الهجري، وسليمان بن سرد الخزاعي، وكميل بن زياد، والمختار الثقفي، وعلى الرغم من ذلك كانت الهوية الشيعية للكوفة: "أقرب إلى الولاء العاطفي منه إلى التنظيم السياسي الحركي"، ما يفسر التذبذب عند الاختبار الحقيقي<sup>(9)</sup>.

الخوارج: حركة فكرية تبنّت منهجاً سياسياً، نشأت في الكوفة بعد واقعة التحكيم في معركة صفين سنة 37هـ، وكان زعماءها نشطين فكرياً وعسكرياً، دعوا إلى: "منهج تكفير" الإمام علي (عليه السلام)، ومعاوية على السواء<sup>(10)</sup>، وأسسوا أدبيات ثورية ضد السلطة القائمة، على الرغم من اشتراكهم في العداء للأُمويين، إلا أن موقفهم من الإمام الحسين (عليه السلام) لم يكن داعماً، إنما كان في الغالب عدائياً استمراراً؛ بسبب عدائهم أساساً للإمام علي (عليه السلام)<sup>(11)</sup>.

1 . عماد الدين باقي، علم اجتماع الثورة الحسينية، ص16.

2 الشهرستاني، الملل والنحل، ج 1، ص189.

3 النوبختي، فرق الشيعة، ص17.

4 المفيد، أوائل المقالات، ص13.

5 الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص144.

6 ابن الكثير، البداية والنهاية، ج2، ص519.

7 هالم، الشيعة، ص26.

8 . محمد جواد مغنية، الشيعة والحاكمون، ص23.

9 . محمد مهدي شمس الدين، ثورة الحسين، ص27.

10 . الحسن النوبختي، المصدر السابق، ص48.

11 . محمد نعمة السماوي، معالم الانحراف، ص104.



المرجئة: ظهرت كحركة نتيجة رد فعل منهج التكفير الذي مارسه الخوارج، دعوا إلى: "تأجيل الحكم على الناس إلى الله، وعدم التسرع في إدانة كل من خالفهم الرأي"، هذا التيار ساهم في تعزيز السياسة السلبية داخل المجتمع الكوفي<sup>(12)</sup>.

القدرية: جماعة نشطت في الكوفة مع رفضهم لـ"فكرية الجبر"، التي روج لها الأمويون، وكانوا أقرب لتيار الرفض والمطالبة بالحرية والعدالة، لكن بدون موقف واضح من واقعة عاشوراء<sup>(13)</sup>.

### ثانياً: دور النخب والخطاب الديني في تذبذب المواقف

برز في الكوفة مجموعة من رجال الدين وقراء القرآن والوعاظ، أخذ بعضهم مواقف شجاعة ضد السلطة، مثل: "حذيفة بن اليمان العبسي، وعابس الشاكري، وحجر بن عدي الكندي، كميل بن زياد النخعي، وسعيد بن قيس الهمداني"<sup>(14)</sup>، بينما انحاز البعض الآخر إلى السلطة<sup>(15)</sup>، إذ إن النخب الفكرية والدينية، كانت موزعة على اتجاهات سياسية وفكرية متضاربة، ما أدى إلى انعدام وحدة الموقف الديني الحازم.

كما شككت الخطاب الديني أداة مؤثرة في توجيه الرأي العام، إذ استُخدمت المنابر وسائل إعلامية مؤثرة لترويج الفكر الأموي، "ركزت على سب الإمام علي (عليه السلام) وتشويه شخصيته"، في المقابل، ظهرت أصوات حرة، لكن تم تكميمها بالعنف والترويع<sup>(16)</sup>.

أدى غياب القيادة الموحدة والمرجعيات الدينية الجامعة أيضاً إلى إرباك الموقف الشعبي العام، ونجد ذلك عندما وصل مسلم بن عقيل وجد تأييداً واسعاً، لكن دون عمق فكري أو التزام حركي صلب، ما جعل ذلك الموقف ينهار أمام ضغط السلطة.

النتيجة؛ إن الانقسام الفكري في الكوفة لم يكن مجرد تنوع، إنما كان تشظياً عقائدياً وسياسياً، لم يتمكن الفكر الشيعي في تلك المرحلة من بناء قاعدة اجتماعية متماسكة تدعم النهضة بشكل فعال، إذ ساهمت التيارات الأخرى، بخاصة المرجئة في صناعة ظاهرة الحياد السلبي<sup>(17)</sup>، الذي ترك الإمام الحسين (عليه السلام) وحيداً عندما وصل العراق.

### المطلب الثاني: أدوات السلطة الاموية في التأثير على مجتمع الكوفة

منذ أن انتقلت السيطرة على الكوفة إلى الدولة الأموية عقب استشهاد الإمام علي (عليه السلام) سنة 41هـ، انتهجت السلطة الأموية سياسة ممنهجة "لإفراغ المجتمع الكوفي من حيويته الثورية ومناهضته التاريخية للسلطة الظالمة"<sup>(18)</sup>،

12 . الحسن النوبختي، المصدر السابق، ص36.

13 . جعفر السبحاني، المذاهب الإسلامية، ص79.

14 . محمد طاهر السماوي، انصار الحسين، ص112.

15 . الشيخ المفيد، الارشاد، ج2، ص33.

16 . محمود السيف، الوجيز في تاريخ الإسلام، ج3، ص38.

17 . الطبري، تاريخ الطبري، ج5، ص356.



وبهدف تحييد الكوفة - التي كانت معقلاً للمعارضة العلوية - استخدمت الدولة وسائل متعددة شملت (القمع الدموية، الترغيب المادي، التوازن الاجتماعي، والحرب النفسية)<sup>(19)</sup>.

الولاة الديمويون: كان زياد بن ابيه - أول والي أموي جمع بين ولايتي البصرة والكوفة -، ومارس سياسة قمعية شديدة، إذ اعتمد اساليب (تكميم الأفواه، والإعدامات، وتقريق المعارضة)، جاء بعده عبيد الله بن زياد الذي تابع النهج نفسه، مع تعزيز جهاز الاستخبارات وأسلوب الترهيب<sup>(20)</sup>.

إرهاب النخب: تم استهداف قادة الفكر الشيعي أمثال "حجر بن عدي"، واتباعه الذين أعدموا بتهمة اللولاء للإمام علي (عليه السلام)<sup>(21)</sup>، أصبح التشيع العلني خطراً يؤدي إلى السجن أو القتل، ما خلق بيئة خوف جماعية.

تفتيت البنية القبلية: عمدت السلطة إلى اخراج القبائل المولية لأهل البيت وتفكيك تجمعاتها في الكوفة، وتعزيزها بقبائل موالية للسلطة، وإعطائها امتيازات مالية وإدارية، إذ اقيمت تحالفات داخل الكوفة هدفها إضعاف التواصل بين الجماعات الشيعية<sup>(22)</sup>.

واستخدام المنبر كسلاح سياسي، إذ تم توظيف خطباء المساجد والواجهات الاجتماعية؛ لبث روايات منحرفة غايتها الطعن بالإمام علي وأبنائه (عليهم السلام)، وأصبحت خطب الجمعة وسيلة لتكريس شرعية بني أمية، وتشوية سمعة أهل البيت، وبث الشائعات والدعاية المضادة<sup>(23)</sup>، وكانت السلطة تبث الإشاعات عن الإمام الحسين (عليه السلام)، ومقاصده وأهدافه، ولتشويه صورته، إذ تم تصوير النهضة بأنها "تمرد يهدد استقرار الامة"<sup>(24)</sup>.

وتم ربط موضوع الأرزاق بالولاء السياسي، فالعطاء يمنح لمن يوالي الأمويين، ويحجب عن المعارضين، هذا الأمر أسهم في شراء ذمم بعض رؤساء القبائل، وفي تقويض استقلالية المجتمع<sup>(25)</sup>، واعتمدت السلطة على نظام معقد من العيون والجواسيس، إذ جعلت بعض البيوت مراقبة من الداخل حتى جماعة مسلم بن عقيل اخترقتها عيون السلطة، مما عجل بانهيار الحركة في الكوفة<sup>(26)</sup>.

18 . محمود السيف، المصدر السابق، ج3، ص38.

19 . عماد الدين باقي، المصدر السابق، ص35..

20 . ابن قتيبة، المعارف، ص151.

21 . علاء المدني، حذيفة بن اليمان، ص64.

22 . عماد الدين باقي، المصدر السابق، ص24.

23 . محمد مهدي شمس الدين، المصدر السابق، ص110.

24 . عماد الدين باقي، المصدر السابق، ص20.

25 . ابن اعثم، الفتوح، ج5، ص157.

26 . ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص484.



كما تسببت هذه السياسات في تقهتت قوى المعارضة، وتحويلها إلى أفراد معزولين، وخلقت حالة من الخوف الجماعي، ما دفع معظم الناس إلى التراجع أو التخاذل على الرغم من محبتهم الظاهرية لأهل البيت، إذ ظهرت ازدواجية بين الإيمان الداخلي والعجز الخارجي<sup>(27)</sup>، هذا ما يفسر، لماذا كتبوا إلى الإمام الحسين (عليه السلام) ثم خذلوهم؟

إذ لم يكن الانقلاب على بيعة مسلم بن عقيل وليد خيانة آنية!!، إنما جاء نتيجة تراكم سياسات سلطوية ممنهجة، عملت الدولة الاموية على إفراغ الكوفة من قرارها الثوري، وتحويلها إلى تابع خانع، ونجحت السلطة باستخدام مزيج من الأساليب منها؛ العنف، والدعاية<sup>(28)</sup>، والمال السياسي، عمدت إلى تجريد الكوفة من ولائها الفعلي الإمام علي ثم الإمام الحسين (عليه السلام).

### المطلب الثالث: موقف القبائل الكوفية من الإمام الحسين

شكلت البنية القبلية حجر الزاوية في التنظيم الاجتماعي والسياسي للكوفة منذ تأسيسها، وكانت القبائل تلعب دوراً حاسماً في التوازنات الداخلية والخارجية للمدينة، وخلال الفترة (41-61هـ)، برزت القبائل الكوفية كفاعل مركزي في اتخاذ المواقف، سواء بالدعم أو التخاذل أو المعاوضة للنهضة الحسينية<sup>(29)</sup>، ومن هذا يتبين موقف القبائل والعشائر الكبرى في الكوفة من الإمام الحسين (عليه السلام)، ويحلل طبيعة تفاعلها مع نهضته، ومستوى تجاوبها أو تراجعها، في ضوء الانتماءات العقائدية والمصالح القبلية والعلاقات مع السلطة<sup>(30)</sup>.

#### أولاً: القبائل الشيعية والموالية

قبيلة همدان: عرفت بولائها التقليدي لأهل البيت، وكان منها وجوه بارزة مثل (قيس بن مسهر الصيداوي) رسول الإمام الحسين (عليه السلام) إلى الكوفة<sup>(31)</sup>، لكن على الرغم من قوة حضورها، إلا إن الكثير من أفرادها ترددوا في مواجهة المسلحة خوفاً من بطش السلطة<sup>(32)</sup>.

قبيلة بنو أسد: كانت لهم مساهمة لاحقة في دفن اجساد الإمام الحسين (عليه السلام)، وأصحابه، ويعدون من القبائل الأقرب وجدانياً لأهل البيت؛ لكنها لم يكن لها حضوراً عسكرياً مؤثراً في واقعة عاشوراء؛ بسبب تفكك موقفها الداخلي<sup>(33)</sup>.

قبيلتي بنو سعد ومذحج: انقسموا بين مؤيدين متحمسين وداعمين صامتين، شارك بعض أفرادهم في بيعة مسلم بن عقيل، ثم تراجعوا لاحقاً تحت الضغط، إذ إن هذه القبائل كانت تمتلك رصيماً عقائدياً؛ لكنها افتقدت إلى القيادة الموحدة، وتأثرت بحالة الترهيب التي مارستها السلطة<sup>(34)</sup>.

27 . محمد مهدي شمس الدين، المصدر السابق، ص 141.

28 . ابن الاثير، المصدر السابق، ج 3، ص 204.

29 . الطبري، المصدر السابق، ج 2، ص 484.

30 . نبيل الحسني، الانثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية، ص 39.

31 . عماد الدين باقي، المصدر السابق، ص 32.

32 . احمد الدينوري، الاخبار الطوال، ص 148.

33 . ابن الاثير، المصدر السابق، ج 4، ص 71.



### ثانياً: القبائل المحايدة والمناهضة

قبيلة بنو تميم: موقفهم اتسم بالحدز والانتهازية، بعضهم ناصر السلطة طلباً للعطاء، والنخبة فيها كانت أقرب إلى السلطة، على الرغم من وجود أفراد منها مؤيدين للنهضة<sup>(35)</sup>.

قبيلة بنو عامر بن صعصعة: لم تسجل لهم مواقف واضحة، وكانوا من القبائل التي التزمت الحياد، إن هذه القبائل اتبعت "سياسة الانتظار"، فلم تبادر بالدعم ولا المجابهة<sup>(36)</sup>، ما أدى إلى ضعف الجبهة المؤيدة للنهضة الحسينية.

قبيلة بنو سليم وبنو مرة: شكلت الجبهة الأمامية للقمع والمطاردة بيد السلطة، وساهمت بشكل مباشر في اعتقال مسلم بن عقيل، ومطاردة أتباعه بناء على التحالفات القبلية مع بنو أمية<sup>(37)</sup>.

قبيلتي بنو بجلة وبنو ضبة: تم تسليحهم وإعطائهم مناصب، مثل شرطة الكوفة والمخبرين، وكانوا أدوات السلطة في ضرب النهضة من داخل النسيج القبلي بناءً لقربها من عبيدالله بن زياد<sup>(38)</sup>.

والكثير من الزعماء فضلوا الحياد أو الخضوع للسلطة، حفاظاً على الامتيازات المادية، والمكانة الاجتماعية، بعضهم أسهم في تثبيط الهمم، وأقنع أتباعه بعدم الخروج مع مسلم بن عقيل أو الإمام الحسين (عليه السلام)<sup>(39)</sup>، بالنتيجة؛ كان تأثير أولئك الزعماء حاسماً في شل قرار المشاركة الجماعية لقبالهم، على الرغم من مواقف القيادات، كان في القبائل بعض الشخصيات والأفراد الغيورون، الذين خرجوا لنصرة الإمام الحسين (عليه السلام)، مثل حبيب بن مظاهر الاسدي، وعابس بن شبيب الشاكري، هؤلاء خالفوا الرأي الجمعي وإرادة قبائلهم، وخرجوا بشكل فردي<sup>(40)</sup>.

كما لم تكن بعض القبائل ذات وحدة متجانسة، إذ انقسمت المواقف داخلها بين: من بايع مسلم بن عقيل ثم خذله؟!، ومن التحق بالإمام الحسين (عليه السلام) لاحقاً، ومن التزم الصمت تحت ضغط الخوف أو الولاء للسلطة!!، فإن القبائل في الكوفة لم تكن كياناً موحداً بالضرورة، إنما تأثرت بالظروف المصلحية والشخصية والقبلية<sup>(41)</sup>، إذ ساهمت سياسة الأمويين في ترويض الزعامات، واختراق البنية القبلية الداخلية، إذ أن الدعم الشعبي الفردي لم يكن كافياً لتحويل الولاء العقائدي إلى مواقف سياسي جماعي.

### المطلب الرابع: أثر البيئة الاقتصادية والمعاشية على اتخاذ القرار في الكوفة

34 . الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج8، ص225.

35 . عمر كحالة، معجم قبائل العرب، ج1، ص126.

36 . محمد نعمة السماوي، المصدر السابق، 125.

37 . عبدالرحمن ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج2، ص325.

38 . ابن دريد الأزدي، الاشتقاق، ص189.

39 . ابن كثير، البداية والنهاية، ج6، ص246.

40 . محمد طاهر السماوي، المصدر السابق، ص100.

41 . الاصفهاني، مقاتل الطالبين، ص70.



لا يمكن فهم مواقف المجتمع الكوفي من النهضة الحسينية بمعزل عن أوضاعه المعيشية والاقتصادية خلال الحقبة التي سبقت واقعة عاشوراء، فقد مثلت البيئة الاقتصادية عاملاً مؤثراً غير مباشر في صياغة الولاءات والقرارات، وشكلت رافعة هامة استخدمتها السلطة الأموية بمهارة لإخضاع المجتمع، وتوجيه بوصلته السياسية والاجتماعية، إذ يمكن تسليط الضوء على أثر العامل الاقتصادي في خذلان النهضة، أو على الأقل في شل الموقف الشعبي الكوفي على الرغم من تعاطفه العقائدي مع الإمام الحسين (عليه السلام)<sup>(42)</sup>.

فإن الكوفة بوصفها أساساً ثكنة للجند والمستوطنات القبلية، كانت تعتمد على رواتب العطاء التي تمنح من بيت المال، ومع تعاقب الولاة الامويين عليها، أصبحت تلك الرواتب أداة سياسية، تمنح للمقربين من السلطة، وتمنع عن المعارضين أو المترددين<sup>(43)</sup>. إذ شهدت الكوفة خلال العقدين (41-61هـ) فترات شح اقتصادي؛ نتيجة الحروب الأموية المستمرة (الخوارج، الروم، الجبهات الداخلية)، وارتفعت معدلات الفقر بين فئات واسعة من الموالي والطبقات الدنيا، وظهر الاعتماد المعيشي الكلي على الدولة<sup>(44)</sup>، ما جعل المواطن الكوفي في مواقف هشة أمام التهديد بقطع العطاء.

واستخدمت السلطة سياسة "العطاء المشروط" يعطى لمن يظهر الولاء لبني أمية، فإنه يكرم ويغدق عليه، ومن يثبت الميل لأهل البيت يعزل ويحرم أو يطارد<sup>(45)</sup>، وهذه السياسة خلقت بيئة خضوع اقتصادية دفعت كثيراً من الناس إلى الصمت أو التراجع، كما عمد الولاة أيضاً، وبخاصة عبيدالله بن زياد إلى شراء الذمم عبر الهبات أو الوعد بالمناصب، كما تم استخدام وسائل اقتصادية غير مباشرة كالإعفاءات من الضرائب، وتوزيع الأراضي، وتحفيز الزعامات القبلية اقتصادياً<sup>(46)</sup>، وإن الطبقة المتوسطة في الكوفة من الفقهاء والتجار والحرفيين، كانت تحت ضغط شديد، وفقدان التجارة مع اضطراب الأوضاع، وانتشار المراقبة والوشاية، وانعدام الأمان المالي المستقبلي<sup>(47)</sup>، وهذه الطبقة شكلت قاعدة قابلة للتردد، ما انعكس على فشلها في دعم حراك النهضة الحسينية علناً.

وعندما وصل مسلم بن عقيل إلى الكوفة، كانت الوعود قائمة، لكن التهديد الاقتصادي لاحق كل من يفكر بدعوه، وفي لحظة الحقيقة، "اختار كثيرون السلامة المعيشية على الالتزام العقائدي"<sup>(48)</sup>، بالنتيجة؛ كان العامل الاقتصادي فاعلاً خفياً لكنه حاسماً في المواقف السياسية، وساهم فقدان الاستقلال المالي في تراجع الإرادة الشعبية، فضلاً عن ممارسة أساليب التجويع والتهميش والتحفيز المالي، التي كانت أدوات السلطة الأموية لكسربيعة الإمام الحسين (عليه السلام) في الكوفة.

42 . احمد الدينوري، المصدر السابق، ص222.

43 . المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص59.

44 . ابن اعثم، المصدر السابق، ص157.

45 . رسول جعفران، الحياة الفكرية والسياسية، ص150.

46 . بن عبد ربه الاندلسي، العقد الفريد، ج5، ص127.

47 . رسول جعفران، المصدر السابق، ص141.

48 . احمد الدينوري، المصدر السابق، ص224.



## المطلب الخامس: الطابع الجمعي والنفسي للمجتمع الكوفي عشية عاشوراء

إن فهم المواقف الجماعية لأهل الكوفة خلال واقعة عاشوراء لا يكتمل، دون تحليل الطابع النفسي الجمعي الذي حكم سلوكهم في لحظة الصراع بين الولاء القلبي للإمام الحسين (عليه السلام)، والخوف من بطش السلطة الأموية، فقد اتسم السلوك الجمعي الكوفي بسمات نفسية واضحة: التردد التناقض، الانسحاب، الشعور بالذنب، وتبرير التناقض، ما يكشف عن أزمة داخلية عميقة في بنية الوعي والسلوك الجماعي.

وشهدت الكوفة حالة من الانتظار والترقب، إذ كان الناس يترقبون ما ستؤول إليه المواجهة، دون أن يبادروا بدور فعال، إذ ساد منطق، "ننظر ما يفعل الاخرين"<sup>(49)</sup>، وهو سلوك جماعي مرتبط بالخوف من اتخاذ موقف مستقل، ما أصاب تفكير المجتمع بحالة من الشلل الجماعي.

كما مارست السلطة الأموية حرباً نفسية شرسة من خلال: الاعدامات العلنية، واعتقال عوائل الهاربين، ومطاردة المؤيدين، كما نشر الجواسيس والعيون داخل الأحياء والأسواق لنبث الرعب في النفوس، إذ نشأ عن ذلك ما يمكن تسميته بـ"عقدة التهديد"، التي دفعت الكوفيين للانسحاب من الساحة على الرغم من تعاطفهم مع الإمام الحسين (عليه السلام)<sup>(50)</sup>.

إن سلوك الكوفيين الذين كتبوا للإمام الحسين (عليه السلام) يدعونه، ثم خذلوه، يمثل تناقض في السلوك الذي يعكس انقساماً في الوعي الجمعي، إذ لم يتطابق الفكر والمواقف، كما عبر البعض عن محبتهم للإمام الحسين (عليه السلام) بالكلمات لا بالأفعال<sup>(51)</sup>، وهو ما أفرز نمطاً من "التدين العاطفي غير الحركي"، وبعد فشل حركة مسلم بن عقيل، تشتت الجماهير، وفقدت الأمل، أذ أن غياب القادة الذين يلهمون الناس في لحظات الأزمات أدى إلى فراغ نفسي ومعنوي، الأمر الذي جعل الانسحاب خياراً جماعياً، إذ لم تكن خيانة الكوفيين للنهضة الحسينية، ناتجة عن انحراف عقائدي فقط، إنما عن هزيمة نفسية جماعية، ساد فيها دور العقل الجمعي، وشعور بالخوف، واللا جدوى مع غياب الثقة بالنصر<sup>(52)</sup>، وتعد هذه التجربة مثلاً تاريخياً، يمثل كيف يمكن للسلطة أن تشل الوعي الجمعي للمجتمع، وتخضع الجمهور لإرادتها دون قتال؟

### الخاتمة:

تناول هذه الدراسة بالبحث والتحليل البيئة الفكرية والاجتماعية في الكوفة خلال الفترة الممتدة من سنة 41هـ إلى 61هـ، ومدى تأثير هذه البيئة في صياغة الموقف الجماعي لأهل الكوفة من النهضة الحسينية، وواقعة عاشوراء تحديداً، وقد كشفت الدراسة عبر مطالبتها: "إن الكوفة لم تكن مدينة ذات ولاء موحد أو رؤية سياسية واحدة، إنما كانت

49 . الطبري، المصدر السابق، ص223.

50 . ابن الاثير، المصدر السابق، ص269.

51 . المسعودي، المصدر السابق، ص213.

52 . ابن الاثير، المصدر السابق، ص277.



ساحة لتضارب التيارات الفكرية، والمصالح الاجتماعية، والتجاذبات القبلية، ما جعلها تعيش أزمة بنيوية عميقة في الوعي والسلوك".

إن المواقف التي اتخذها أهل الكوفة من النهضة الحسينية لم تكن ناتجة عن خيانة محضة، ولا عن نكوص عاطفي فجائي، إنما كانت: "نتيجة تحولات مركبة في البنية الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية للمدينة، تراكمت منذ استشهاد الإمام علي، وحتى استشهاد الإمام الحسين (عليهما السلام)".

ويتبين إن الكوفة كانت بيئة فكرية خصبة؛ لكنها ممزقة بين تيارات متعددة (الشيعية، الخوارج، المرجئة، القدرية) دون قيادة فكرية موحدة، والقبائل الكوفية تصرفت وفق مصالح متباينة، ولم تُشكل موقفاً جمعياً حاسماً على الرغم من وجود ولاء تاريخي لأهل البيت، إذ استخدمت السلطة الاموية أدواتها ببراعة: القمع، التهديد، شراء الذمم، تفكيك المجتمع، الحرب النفسية، والإعلام السلبي، فضلاً عن استخدام العامل الاقتصادي، الذي أدى دوراً خطيراً في شل إرادة المجتمع، إذ تحولت المعاشات والعطاءات إلى وسائل ابتزاز سياسي، أما البُعد النفسي للجماهير من الخوف إلى التردد إلى الشعور بالذنب، كان حاسماً في خذلان الإمام الحسين (عليه السلام) ثم لاحقاً في ظهور حركات الندم والثأر.

وبناء على ما تقدم، يمكن القول إن البيئة الكوفية كانت أرضاً خصبة للنهضة عقائدياً، لكنها عاجزة عن حمل لواء النهضة علمياً؛ بسبب تفكك مقومات القرار الجمعي، وضعف البنية النفسية، وتغول السلطة الاستبدادية.

#### المصادر:

- 1- ابن دريد محمد بن الحسن الأزدي، الاشتقاق، ط1، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة المثنى، بغداد، 1958.
- 2- أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (عز الدين ابن الأثير)، الكامل في التاريخ، ج3-4، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، 1997.
- 3- أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1992.
- 4- أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري (بن كثير)، البداية والنهاية، ج2، ط6، المحقق: الشيخ عبد القدر الأرنؤوط والدكتور بشار عواد، دار بن كثير، القاهرة، 2009.
- 5- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، ج5، ط2، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1967.
- 6- أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، الأخبار الطوال، ط1، تحقيق: عبد المنعم عامر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، 1330هـ.



- 7- ابو فرج علي بن الحسين الاصفهاني، مقاتل الطالبين، ط1، تحقيق: ابراهيم زين، دار أحياء علوم الدين، بيروت  
بينان، 1995.
- 8- أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج2، ط1، المكتبة العصرية،  
صيدا لبنان، 2005.
- 9- أبي عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ط2، دار  
المفيد للطباعة، بيروت لبنان، 1993.
- 10- أبي عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المفيد، المقنعة، ط2، قم، مؤسسة النشر الإسلامي،  
1410هـ.
- 11- احمد ابن اعثم الكوفي، الفتوح، ج5، تحقيق: علي شيري، دار الاضواء، بيروت لبنان، 1991.
- 12- احمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج8، ط1، تحقيق: مصطفى عبدالقادر، دار الكتب  
العربية، بيروت لبنان، 1997.
- 13- جعفر السبحاني، اضواء على عقائد الشيعة الامامية وتاريخهم، ط1، دار مشعر، بيروت لبنان، 1379هـ.
- 14- الحسن بن موسى النوبختي، فرق الشيعة، ط1، منشورات الرضا، بيروت لبنان، 2012.
- 15- رسول جعفریان، الحياة الفكرية والسياسية لأمة أهل البيت، ط1، دار الحق، بيروت لبنان، 2005.
- 16- شهاب الدين احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي، العقد الفريد، ج5، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان،  
1999.
- 17- عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، تاريخ ابن خلدون، ج3، تحقيق: خليل شحاده -سهيل زكار، ط1، دار  
الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، 1983.
- 18- عبدالله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، المعارف، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992.
- 19- علاء السيد علي خان المدني، حذيفة بن اليمان ومكانته في الإسلام، ط1، دار المتقين للثقافة والعلوم، بيروت  
لبنان، 1435هـ.
- 20- عماد الدين باقي، علم اجتماع الثورة الحسينية، ط1، تعريب: عبدالرحمن العلوي، دار الهادي، بيروت لبنان،  
1998.
- 21- عمر كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ج1، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1388هـ.



- 22- محمد جواد مغنية، الشيعة والحاكمون، ط1، دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان، 2000.
- 23- محمد طاهر السماوي، انصار الحسين، ط1، تحقيق: محمد جعفر الطبسي، مركز الدراسات الإسلامية، قم، 1419هـ.
- 24- محمد مهدي شمس الدين، ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الانسانية، ط1، تحقيق: سامي الغريزي، بيروت لبنان، 1977.
- 25- محمد نعمة السماوي، معالم الانحراف في مطلع العهد الأموي الكوفة مثلاً، ط1، دار المرتضى، بيروت لبنان، 1999.
- 26- محمود السيف، الوجيز في تاريخ الإسلام، ج3، ط1، مركز المصطفى العالمي، قم، 1392هـ.
- 27- نبيل الحسني، الانثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة، ط1، العتبة الحسينية المقدسة، العراق، 2009.
- 28- هايس هالم، الشيعة، ترجمة: محمود كبيبو، ط1، شركة الوراق للنشر المحدودة، بغداد العراق، 2011.